

مواجهة الرسالة الخاتمة بالرسالات المنسوخة

ورقة مقدمة من د. عبد الحي يوسف

(رئيس قسم الثقافة الإسلامية بجامعة الخرطوم . سابقاً)

الحمدُ لله ربِّ العالمين، والصلاة والسلام على خاتمِ النبيين وسيِّدِ الأوَّلِينَ والآخِرِينَ ورحمةِ الله للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسانٍ إلى يوم الدين.

وبعد، فقد تنامت في السنوات الأخيرة (ظاهرةً التطاؤُل على الإسلام) من كُفارِ أهلِ الكتاب؛ وترافقت هذه الحملةُ الإعلاميةُ الشَّرِسَةُ مع حملةٍ عسكريةٍ مُتلاحقةٍ تُشنُّ على العالمِ الإسلامي في العراق وأفغانستان... وحِصارٍ لحكومة حماس الفلسطينية وتحالفٍ مع اليهود في فلسطين وأعداءِ الأمة في السودان والصومال... وتُحاول هذه الورقةُ: (مُواجهة الرسالة الخاتمة بالرسالات المنسوخة) بيانَ أسبابِ هذا الصراعِ وفهمَ طبيعةِ عداءِ أهلِ الكتابِ لهذا الدينِ الناصِحِ ورسوله الخاتمِ وكتابه المُهَيِّمِ، كما قال الله ﷻ (وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ مُصدِّقاً لما بين يديهِ من الكتابِ ومُهيِّمناً عليه فاحكمُ بينهم بما أنزلَ اللهُ ولا تتَّبِعْ أهواءهم عما جاءك من الحقِّ).¹ وقال ﷻ (ودَّ كثيرٌ من أهلِ الكتابِ لو يردُّونكم من بعدِ إيمانِكُم كُفَّاراً حَسِداً من عندِ أنفُسِهِم من بعدِ ما تبَيَّنَ لهم الحقُّ).² وقال تعالى (ما يَؤُدُّ الذين كفروا من أهلِ الكتابِ ولا المشركين أن يُنزَلَ عليكم من خيرٍ من ربِّكم والله يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ والله ذو الفضلِ العظيمِ).³ وقال ﷻ (ولا تزال تَطَّلِعُ على خائنةٍ منهم إلا قليلاً منهم).⁴ وقال ﷻ (إن يَتَّقُوكُم يكونوا لكم أعداءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُم أيديَهُم وألْسِنَتَهُم بالسُّوءِ وَوَدُّوا لو تكفُّروا).⁵

وتتضمنُ هذه الورقةُ مَبْحَثَيْنِ:

أولهما: المحور السياسي والإعلامي: ويشتملُ على ما يلي:

المطلب الأول: طبيعة الصراع:

1 سورة المائدة الآية 48.

2 سورة البقرة الآية 109.

3 البقرة 105.

4 المائدة 13.

5 الممتحنة 2.

المطلب الثاني: تحالفُ القساوسة مع أهل السياسة:

المطلب الثالث: حركة القساوسة الحاقدين:

المطلب الرابع: أثر الصهيونية العالمية في مُعاداة الإسلام:

المطلب الخامس: المعالجة:

وأما المبحث الثاني: فهو مُلحقٌ في الرسائل، يتضمن المطالب التالية:

المطلب الأول: اتفاق الرسائل في العقائد واختلافها في الشرائع:

المطلب الثاني: تكامل الرسائل:

المطلب الثالث: الرسالة الخاتمة:

المطلب الرابع: الإيمان بالكتب السماوية:

المطلب الخامس: تحريف أهل الكتاب:

المبحث الأول: المحور السياسي والإعلامي:

المطلب الأول: طبيعة الصراع:

لا ريب أن هذه الحملة الغربية الظالمة على العالم الإسلامي . في المحورين العسكري والعقائدي . قد بيّنت طبيعة الصراع الديني وحقيقة عداة اليهود والنصارى للمسلمين، الذين (لا يُرَقَّبون في مؤمنٍ إلا ولا ذمّةً وأولئك هم المُعْتَدُونَ).⁶ فهي حملةٌ إعلاميةٌ تحالفَ فيها القساوسة الصليبيون واليهود الصهاينة مع السياسيين في الغرب؛ لمُحاربة الإسلام وتشويه رموزه، كما قال الله ﷻ (يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُنْمِثَ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ).⁷ وقال ﷻ (ولا يزالون يُقاتِلونكم حتى يرُدُّوكم عن دينكم إن استطاعوا).⁸

ومن أعظم ما يبيِّن الطبيعة الدينية للحرب على الإسلام: ما اقتبسَه بابا الفاتيكان (بنديكت السادس عشر) خلال محاضرة له في ألمانيا من كلامٍ لأحد الصليبيين جاء فيه: "محمدٌ لم يأتِ إلا بما هو سيِّءٌ وغير إنساني"! إنَّ تصريحات بابا الفاتيكان . التي لم يعتذر عنها؛ بل ادعى إساءة فهمها . تؤكدُ بلا ريب العقلية الصليبية الجديدة التي تهدم كل دعاوى حوار الأديان.⁹ وقد عرّف عن بابا الفاتيكان تعصُّبه للصليبية؛ حتى إنه أعزب عن رُفْضِهِ لدخول تركيا لمنظومة الاتحاد الأوربي! لأنه لا يزال يرى فيها دولة الخلافة العثمانية.

6 التوبة 10.

7 التوبة 32.

8 البقرة 217.

9 راجع في مفكرة الإسلام: (بابا الفاتيكان يتجه نحو العقلية الصليبية). طريف السيد عيسى

المطلب الثاني: تحالف القساوسة مع أهل السياسة:

فالسِّياسةُ الغَربيَّةُ . في أوروبا وأمريكا . أصبَحَتْ تَكشِفُ تحالفَها مع القساوسة الحاقدين؛ بعد أن تشبَّعتْ بالعداءِ للإسلام؛ حتى صارت المُؤسَّساتُ الدِّينية والسياسية في الغربِ مُتَّفِقَتَيْنِ على حربِ الإسلام. وقد صَدَرَتْ تصريحاتٌ مُعادِيَةٌ للإسلام من كبارِ السَّاسةِ الغَربيِّين، كما قال الرئيس الأمريكي بوش بعد أحداث 11 سبتمبر: "اليومَ بدأت الحروبُ الصليبية!" وقال بعد ذلك: "إنَّ هذه الأمة [أمريكا] في حالة حربٍ مع الفاشيِّين الإسلاميين!"

ولعلَّ "أحدثُ ما سمعناه من مسؤولٍ سياسيٍّ غربيٍّ كبيرٍ عن الإسلام كان من رئيس الوزراء الإسباني السابق (خوسيه ماريَا أثنار) في تعقيبه على موجة الغضب التي اجتاحت العالم الإسلامي، على خلفية تصريحات بابا الفاتيكان (بينديكت السادس عشر) والدعوات الموجهة إليه بتقديم اعتذارٍ رسميٍّ للمسلمين، فقد قال (أثنار): "إذا كان على البابا أن يُقدِّمَ اعتذارًا؛ فالعالم الإسلامي مُطالبٌ أيضًا بتقديم اعتذارٍ لنا عن الفترة التي قضَّوها في الأندلس والتي تقترب من ثمانية قرون!" وقبل عامين، قال (أثنار) في محاضرةٍ بجامعة (جورج تاون) الأمريكية: "يجب أن نعودَ إلى الوراءِ لنبداً من القرن الثامن الميلادي، عندما تعرَّضت إسبانيا للغزو من المغاربة ورفضت أن تكونَ جزءًا آخر من العالم الإسلامي؛ فخاضت معركةً طويلةً لاستعادة هويَّتها، إننا لا خيارَ لدينا سوى مُواجهة الحركات الإسلامية؛ فقد باتت تُمثِّلُ خطرًا كبيرًا على الغرب!" ولم يدعُ (سيلفيو برلُسكوني) رئيس وزراء إيطاليا السابق الفرصة تفوته واشترك في هذه الحملة اللئيمة بقوله: "الإسلام دينٌ لا يحترمُ حقوق الإنسان ومبادئ التعددية والتسامح والحرية الدينية، والحضارة الغربية تعلقو على حضارة الإسلام، وعلى الغربيِّين أن يُدرِكوا تفوقَ حضارتنا! وأنَّ هذه الحضارة تكفُلُ الرخاءَ لشُعوبها وحريةَ الحقوق الإنسانية والدِّينية واحترامَ الحقوق السياسية غير الموجودة في الدول الإسلامية؛ فالحضارة الغربية تكفُلُ التسامحَ وتعترفُ بقيم الاختلاف! ولقد كانت ولا تزالُ بوتقةً للثقافة والتاريخ والحرية والديمقراطية! وهي قيمٌ تجعلنا نفخرُ بهذه الحضارة. إنَّ حرية الأفراد والشعوب لا توجدُ في حضارةٍ أخرى مثل الحضارة المسيحية؛ من ثمَّ يتعينُ أن نُدرِكَ هذا التفوق! إنَّ الغربَ مُرشَّحٌ للاستمرارِ في تغريبِ الشعوبِ والتأثيرِ فيها، وقد قام بذلك مع العالم الشيوعي، كما قام به مع العالم الإسلامي!" كما عبَّرَ الرئيس الأمريكي الأسبق (ريتشارد نيكسون) عن قلقه من الإسلام والمسلمين من خلال كتابين نشرهما منذ سنواتٍ قريبةٍ مضت، أولهما بعنوان: (نصرٌ بلا حرب)، وثانيهما: (انتهزوا الفرصة)، يقول (نيكسون) في هذين الكتابين: إنه بعد سقوط الاتحاد السوفييتي ومعه سقوط الاشتراكية كحركةٍ ومنظومةٍ سياسيةٍ، سيواجه الغربُ والولايات المتحدة خاصة (ماردًا آخر)، هو الإسلام؛ فينبغي على الولايات

المتحدة أن تعمل وبسرعة على الإمساك بما أسماه بالريادة الروحية في العالم، وأن تعمل على عدم السماح لنماذج (التشدد الإسلامي) أن تجد فرصتها في هذا المجال".¹⁰

المطلب الثالث: حركة القساوسة الحاقدين:

فقد أسفر قساوسة الشؤء عن أحقادهم، ونشطت هذه الحملة لتشويه الإسلام والإساءة إلى نبينا محمد (p) في أمريكا؛ حتى قامت إدارة بوش في 16 أكتوبر 2002 بتكريم كبار المتعصبين من أمثال (جيرى فالويل) و(بات رويتسون). أما جيرى فالويل¹¹ Jerry Falwell فهو صاحب كتاب (فلنتقدم إلى معركة هرمجدون)¹²؛ لمساهمتهم في دعم التيار اليميني المحافظ والحزب الجمهوري. وقد صرح (جيرى فالويل) في حديث له بث يوم الأحد 6 أكتوبر 2002 في برنامج (60 دقيقة) بقوله: "أنا أعتقد أن محمدًا كان إرهابياً، لقد قرأت ما يكفي من المسلمين وغير المسلمين أنه كان رجل عنيف، ورجل حروب!"

المطلب الرابع: أثر الصهيونية العالمية في مُعاداة الإسلام:

لا شك أن اليهود أشد الناس عداوةً وحقدًا وكرهيةً للمسلمين وإيقاداً لنار الحروب ضدّهم، كما قال الله Y (لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا)،¹³ وقال ﷺ (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم).¹⁴ فالصهيونية العالمية لا تزال منذ احتلالها لفلسطين في 1948 تُحارب كلَّ المقدسات الإسلامية، وتسعى إلى تشويه المسلمين وتضخيم خطرهم للغرب. وقد ساعدتهم على ذلك تأثيرهم على وسائل الإعلام الغربي وامتلاكهم لكثيرٍ منها؛ مما حقّق نُفوذهم البالغ على أوروبا وأمريكا، وسيطرتهم على مراكز صنع القرار فيها.¹⁵ وحسبُك في بيانِ خطورة هذا الأخطبوط الصهيوني في أمريكا ما

10 راجع: مقالة: [حينما يوفر البابا الغطاء الديني لمشروع بوش الاستعماري] للدكتور علي عبد الباقي. (مفكرة الإسلام).

11 قسيس إنجيلي معروف يعيش في منطقة لينشبرج بولاية فرجينيا له برنامج أسبوعي إذاعي وتلفزيوني يصل لأكثر من 10 مليون منزل، وله جامعة أصولية تسمى جامعة الحرية، عرف بسبه وشتمه لنبينا محمد (p). ويجدر بالذكر أن الإسرائيليين أهدوا طائرة خاصة لفولويل من نوع ويندستريم ثمنها 2.5-3.5 مليون مع قطع غيار بقيمة نصف مليون دولار. وفولويل يُباهي بأنه يقطع بطائرته الثفائة 10 آلاف ميل في الأسبوع للدعاية الانتخابية لمرشحيه. وظهر فولويل كأول سياسي أمريكي مرموق يقول: على أمريكا دعم إسرائيل ليس من أجل مصلحة إسرائيل فقط ولكن من أجل المحافظة على أمريكا نفسها. ومع اقتراب انتخابات 1980 زاد بروز فولويل وسلطت الصحافة أضواء على منظمته المعروفة باسم الأكثرية الوطنية. وقرّر ريغان مكافأته فمنحه ميدالية تحمل اسم فلاديمير زيف جابوتنسكي الأيديولوجي الصهيوني اليميني وأستاذ بيغن. عن ورقة: (ظاهرة الإساءة للنبي p وشريعته في الغرب)، للشيخ ناصر العمر. المؤتمر العالمي للنصرة.

12 وهي معركة نهاية التاريخ التي يرى البروتستانت حتميتها مع المسلمين عند سفح هرمجدون.

13 المائدة 82.

14 البقرة 120.

15 من أمثلة ذلك أن (بات روبرتسون) يمتلك عدداً من المؤسسات الإعلامية من بينها نادي ال700، وله برنامج تلفزيوني يصل إلى عشرات الملايين في الولايات المتحدة الأمريكية، بالإضافة إلى امتلاكه محطة فضائية تصل إلى 90 دولة بأكثر من 50 لغة وهي محطة (البت النصراني) وغيرها، كما أنه يقف خلف أكبر تحالفٍ سياسيٍ دينيٍّ في الحزب الجمهوري وهو "التحالف النصراني"، فقد كان يقود الائتلاف اليميني المسيحي مؤيداً له، وقد كشف عن هذا منافس بوش جون ماكين.

تناولته وكالات الأنباء هذه الأيام في انتخابات الكونجرس الديمقراطي الجديد أن (مناصب الكونجرس الهامة بأيدي النواب اليهود)؛ فقد "دخل عددٌ غير مسبوقةٍ من اليهود إلى الكونجرس الأمريكي خلال دورته الجديدة الـ 110 محتلين أهم المناصب، وهو ما اعتبره محللون ضماناً أكيدةً لتأييد أمريكيٍّ مثاليٍّ لإسرائيل".¹⁶

فقد استطاع اليهود الصهاينة أن يَحْتَرِفُوا المؤسَّستين: الكنسية والسياسية في أمريكا؛ حتى صارت شخصيةً مثل (بات روبرتسون Pat Robertson) - وهو قسيس إنجيليٍّ من أعظم الداعمين لدولة الكيان الصهيونية . أحد مؤيدي (بوش)، وقد كان له أثره الكبير في فوز (بوش) برئاسة الحزب الجمهوري في مارس 2000، فقد كان يقود الإئتلاف اليميني المسيحي المؤيد له، وقد كشف عن هذا منافس (بوش): جون ماكين، كما أن (بوش) يدعمه أعظم الدعم،¹⁷ وقد أشير إلى تكريم الحزب الجمهوري له مع (جيرري)، وقد تصدر (نشيد المسيح!) افتتاح أعمال المؤتمر القومي للحزب الجمهوري من أجل اختيار (بوش) مرشحاً رسمياً في مارس 2000، وأعلن فيه تبنيه لأفكار تيار اليمين المسيحي. وقد قال (بات روبرتسون) في قناة فوكس الإخبارية Fox News: "أنا أقول: هذا القرآن ما هو إلا سرقة من المعتقدات اليهودية. ثم استدار محمدٌ بعد ذلك؛ ليقتل اليهود والنصارى في المدينة. أنا أقصد أن هذا الرجل كان قاتلاً سفك دماء!" وقال: "أظن أن الإرهاب قد غدا تياراً، وليس فقط عند حفنة من المتطرفين. إذا اشتريتُ مُصحفاً أقرأه بنفسك؛ فستجدُ عنفاً يُبشِّرُ به".¹⁸

المطلب الخامس: المعالجة:

أؤكد في معالجة هذا العداء للإسلام على التوصيات التالية:

1) الاستعداد للدفاع عن هذه الأمة؛ ومواجهة هذه الحملة الصليبية المتحالفة مع الصهيونية؛ فإن خطرها داهمٌ، وقد يتوسع ليشمل مزيداً من دُول العالم الإسلامي.

16 وقال دوج بلومفيلد المدير القانوني السابق للجنة الشؤون العامة الإسرائيلية الأمريكية في تصريحات لصحيفة "جيروزاليم بوست" الأمريكية "هناك عدد غير مسبوقة منهم (اليهود) في الكونجرس، سيتولون عدة مناصب قيادية في كل من المجلسين (مجلس النواب والشيوخ)". وانضم 6 نواب جدد من اليهود والتابعين للحزب الديمقراطي المسيطر حالياً على مجلسي الكونجرس إلى المجلسين، وذلك بالإضافة إلى 37 نائباً يهودياً كانوا متواجدين بالفعل في الدورة الماضية، مسجلين أكبر عدد من النواب اليهود بالكونجرس في تاريخه. راجع بالتفصيل: مقالة: (مناصب الكونجرس الهامة بأيدي النواب اليهود) واشنطن- وكالات/ أمير شبانة-إسلام أون لاين.نت

17 قام البيت الأبيض في يوم الجمعة 4 أكتوبر 2002م بالإعلان عن منحة دينية قدرها نصف مليون دولار أمريكي للقسيس (بات رويتسون) والجدير بالذكر أنها المنحة الأولى التي يمنحها البيت الأبيض لأي مؤسسة أو شخصية دينية.

18 ورقة: (ظاهرة الإساءة للنبي ﷺ وشريعته في الغرب)، للشيخ ناصر العمر. المؤتمر العالمي للنصرة.

(2) نُوصِي بِالاجْتِمَاعِ وَبِنِدِّ الْفُرْقَةِ وَالتَّنَازَعِ بَيْنَ كَافَةِ قُوَى الْأُمَّةِ؛ لِاسْتِنْهَاضِ الْحُكَامِ وَالْحُكُومِيْنَ وَتَعَاوُنِ أَهْلِ الْعِلْمِ وَالْحُكْمِ وَالْمَقَاوِمَةِ فِي صِدِّ هَذِهِ الْحَمَلَةِ الَّتِي لَا تَسْتَنْبِي أَحَدًا.

(3) تَخْصِيصُ قَنَاةٍ فِضَائِيَّةٍ (islam) نَاطِقَةٍ بِمَجْمُوعَةٍ مِنَ اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ؛ لِلتَّعْرِيفِ بِالْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَالرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ.

(4) عَقْدُ مُؤْتَمَرٍ جَامِعٍ . تُوفَّرُ لَهُ التَّغْطِيَةُ الْإِعْلَامِيَّةُ فِي الْغَرْبِ . لِدِرَاسَةِ (أَسْبَابِ انْتِشَارِ الْإِسْلَامِ فِي الْعَالَمِ) وَبَيَانِ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ بِقُوَّةِ الْفِكْرِ وَالِإِقْتَادِ وَالِإِقْنَاعِ وَالبَيَانِ، قَبْلَ قُوَّةِ الْجِهَادِ لِلدَّفَاعِ عَنِ حَقِّ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ.

(5) عَقْدُ مُؤْتَمَرٍ جَامِعٍ حَوْلَ (آدَابِ الْحَرْبِ فِي الْإِسْلَامِ)؛ لِلرَّدِّ عَلَى حَمَلَاتِ التَّضْلِيلِ وَتَشْوِيهِ الْجِهَادِ فِي وَسَائِلِ الْإِعْلَامِ الْغَرْبِيِّ. وَبَيَانِ الصَّفَحَاتِ الْمَشْرِقَةِ لِلبِلَادِ الْمَفْتُوحَةِ مَقَارَنَةً بِجَرَائِمِ مَحَاكِمِ التَّفْتِيْشِ وَمَذَابِحِ الْيَهُودِ فِي فِلَسْطِينَ وَلِبْنَانِ.

(6) تَأْسِيسُ دَارٍ (كَلِمَةٍ سَوَاءً): تَكُونُ مَوْسَسَةً وَقَفِيَّةً لِلنَّشْرِ، تَقُومُ بِطَبَاعَةِ الْكُتُبِ النَّافِعَةِ وَتَرْجُمَتِهَا إِلَى اللُّغَاتِ الْعَالَمِيَّةِ: مِثْلَ (إِظْهَارِ الْحَقِّ) لِلشَّيْخِ رَحْمَةِ اللَّهِ بِنِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ الْهِنْدِيِّ، وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ الْكُتُبِ فِي بَيَانِ تَحْرِيفِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَإِبْطَالِ التَّثْلِيثِ. وَكِتَابُ (الْقُرْآنِ وَالْإِنْجِيلِ وَالتَّوْرَةِ وَالْعِلْمِ) لِلدَّجْرَاحِ الْفِرَنْسِيِّ الْمُسْلِمِ مَوْرِيسِ بُوْكَايِ الَّذِي أَثْبَتَ فِيهِ بِأَسْلُوبٍ عِلْمِيٍّ بَدِيْعٍ مُوَافِقَةً الْقُرْآنِ وَمُعَارِضَةً التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ لِلْعِلْمِ. وَمِنْهُ نَسْخَةٌ أَنْجَلِيزِيَّةٌ فِي مَوْقِعِ صَيْدِ الْفَوَائِدِ www.saaaid.net ...

(7) إِعْدَادُ (مَوْسُوعَةِ الْعِظْمَاءِ الْمُهْتَدِينَ) فِي قُرْصٍ وَاحِدٍ جَامِعٍ، يَشْتَمِلُ عَلَى تَوْثِيْقٍ لِتَجَارِبِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ الْغَرْبِيِّينَ الْمُهْتَدِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ. وَهَذَا مِنْ أَحْسَنِ أَسَالِيْبِ الدَّعْوَةِ لِلْغَرْبِيِّينَ بِلِسَانِ قَوْمِهِمْ، وَمِنْ أَكْثَرِهَا نَفْعًا وَتَأْثِيرًا إِنْ شَاءَ اللَّهُ.

(8) إِنْشَاءُ مَوْسَسَةٍ (دِيْدَاتٍ) لِلإِنْتِاجِ الْإِعْلَامِيِّ، تَقُومُ بِمَهْمَةِ جَمْعِ الْأَعْمَالِ الْكَامِلَةِ لِلْعَلَامَةِ (دِيْدَاتٍ)، بِمَا فِي ذَلِكَ مُنَازَرَاتِهِ الْقِيْمَةَ وَذِكْرِيَاتِهِ مَعَ التَّنْصِيرِ، مَعَ تَرْجُمَتِهَا وَفَهْرَسْتِهَا مَوْضُوعِيًّا، وَإِهْدَائِهَا لِأَهْلِ الْفِكْرِ عَلَى أَوْسَعِ نِطَاقٍ فِي الْغَرْبِ.

وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَالْمُعِينُ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ الْأَمِينِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

المبحث الثاني: ملحق في الرسائل:

المطلب الأول: اتفاق الرسائل في العقائد واختلافها في الشرائع:

لَا يَخْفَى أَنَّ اللَّهَ ﷻ قَدْ أَرْسَلَ رُسُلَهُ الْكَرَامَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِلدَّعْوَةِ إِلَى التَّوْحِيدِ الْخَالِصِ، وَعِبَادَةِ اللَّهِ وَحْدَهُ، وَهِدَايَةِ النَّاسِ إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، وَإِخْرَاجِهِمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، كَمَا قَالَ اللَّهُ جَلَّ جَلَالُهُ (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ

أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ).¹⁹ وقال جل جلاله: (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ)،²⁰ وقال جل جلاله: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ).²¹ وقال تعالى: (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ).²²

فقد اتفق المفسِّرون رَحِمَهُمُ اللَّهُ على أَنَّ الرِّسَالَاتِ مُتَّفِقَةٌ فِي الْعُقَائِدِ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ فِي الشَّرَائِعِ، قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ: "يَقُولُ تَعَالَى لِهَذِهِ الْأُمَّةِ: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ)؛ فَذَكَرَ أَوَّلَ الرُّسُلِ بَعْدَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَآخِرَهُمْ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، ثُمَّ ذَكَرَ مَنْ بَيْنَ ذَلِكَ مِنَ أَوْلِي الْعِزْمِ: وَهُمْ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ. وَهَذِهِ الْآيَةُ انْتِظَمَتْ ذِكْرَ الْخَمْسَةِ كَمَا اشْتَمَلَتْ آيَةُ الْأَحْزَابِ عَلَيْهِمْ فِي قَوْلِهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: (وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ...) الْآيَةَ. وَالِدِّينُ الَّذِي جَاءَتْ بِهِ الرُّسُلُ كُلُّهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، كَمَا قَالَ ﷺ: (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ)، وَفِي الْحَدِيثِ: {لَنْ نَمَعَّشَرَ الْأَنْبِيَاءَ أَوْلَادُ عِلَاتٍ دِينُنَا وَاحِدٌ} أَي الْقَدْرُ الْمَشْتَرَكُ بَيْنَهُمْ هُوَ عِبَادَةُ اللَّهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَإِنْ اخْتَلَفَتْ شَرَائِعُهُمْ وَمَنَاهِجُهُمْ كَقَوْلِهِ ﷺ: {لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَا جَا}؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَى هَاهُنَا: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ): أَي وَصَّى اللَّهُ تَعَالَى جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ بِالْإِتِّتِلَافِ وَالْجَمَاعَةِ وَنَهَاهُمْ عَنِ الْإِفْتِرَاقِ وَالْإِخْتِلَافِ".²³

المطلب الثاني: تكاملُ الرِّسَالَاتِ:

فَالرِّسَالَاتُ دَعْوَةٌ وَاحِدَةٌ يَقُودُهَا مَوْكِبُ النَّبِيِّينَ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وَإِنْ تَعَدَّدَتْ شَرَائِعُهُمْ وَكُتِبَتْهُمْ فَهَمُ {أَبْنَاءُ عِلَاتٍ}،²⁴ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: (مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ).²⁵ وَقَالَ ﷻ: (وَقَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِعِيسَى بْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْإِنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورًا وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)،²⁶ وَقَالَ تَعَالَى: (وَإِذْ قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي

19 الشورى 13.

20 سورة النحل الآية 36.

21 سورة الأنبياء الآية 25.

22 سورة إبراهيم الآية 5.

23 تفسير ابن كثير 110/4.

24 هم أبناء الرجل من نسوة شتى (مختار الصحاح للرازي) ص 396

25 سورة الحج الآية 78

26 سورة المائدة الآية 46

إسرائيل إني رسول الله إليكم مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ،²⁷
وقال ﷺ: (وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّمناً عَلَيْهِ).²⁸

وقال القرطبي رحمه الله: "(شَرَعَ) بَيَّنَّ وَأَظْهَرَ (لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحاً وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى): أَي شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ دِينَ نُوحٍ وَمُحَمَّدٍ وَمَا بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثُمَّ فَسَّرَ الْمَشْرُوعَ الَّذِي اشْتَرَكِ هَؤُلَاءِ الْأَعْلَامُ مِنْ رُسُلِهِ فِيهِ بِقَوْلِهِ: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ)، وَالْمُرَادُ إِقَامَةَ دِينِ الْإِسْلَامِ الَّذِي هُوَ تَوْحِيدُ اللَّهِ وَطَاعَتُهُ وَالْإِيمَانُ بِرُسُلِهِ وَكُتُبِهِ وَبِيَوْمِ الْجَزَاءِ وَسَائِرِ مَا يَكُونُ الْمَرَّةَ بِإِقَامَتِهِ مُسْلِماً وَلَمْ يُرَدِّ بِهِ الشَّرَائِعَ؛ فَإِنَّمَا مُخْتَلِفَةٌ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: (لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِنْهَا جَا)".²⁹

وكذلك قال الزمخشري رحمه الله: "وذلك أن الله تعالى إنما أوردَهَا لِيُوصِفَ دِينَ الْإِسْلَامِ بِالْأَصَالَةِ وَالِاسْتِقَامَةِ؛ فَكَأَنَّهُ قَالَ: شَرَعَ لَكُمْ الدِّينَ الْأَصِيلَ الَّذِي بُعِثَ عَلَيْهِ نُوحٌ فِي الْعَهْدِ الْقَدِيمِ، وَبُعِثَ عَلَيْهِ مُحَمَّدٌ خَاتَمَ الْأَنْبِيَاءِ فِي الْعَهْدِ الْحَدِيثِ، وَبُعِثَ عَلَيْهِ مِنْ تَوَسُّطَ بَيْنَهُمَا مِنَ الْأَنْبِيَاءِ الْمَشَاهِيرِ".³⁰ وقال السعدي رحمه الله: "هذه أكبر منة أنعم الله بها على عباده: أن شرع لهم من الدين خير الأديان وأفضلها وأزكاها وأطهرها: دين الإسلام الذي شرعه الله للمصطفين المختارين من عباده، بل شرعه الله لخير الخييار وصفة الصفة: وهم أولو العزم من المرسلين المذكورون في هذه الآية، أعلى الخلق درجةً وأكملهم من كل وجه؛ فالدين الذي شرعه الله لهم لا بُدَّ أن يكون مُنَاسِباً لِأَحْوَالِهِمْ وَمُوَافِقاً لِكَمَالِهِمْ، بل إنما كملهم الله واصطفاهم بسبب قيامهم به؛ فلولا الدين الإسلامي ما ارتفع أحدٌ من الخلق فهو رُوحُ السعادة وقُطْبُ رَحَى الكمال، وهو ما تضمنته هذا الكتاب الكريم ودعا إليه من التوحيد والأعمال والأخلاق والآداب وقال: (أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ): أَي أَمَرَكُم أَنْ تَقِيمُوا جَمِيعَ شَرَائِعِ الدِّينِ: أُصُولَهُ وَفُرُوعَهُ تَقِيمُونَهُ بِأَنْفُسِكُمْ وَتَجْتَهِدُونَ فِي إِقَامَتِهِ عَلَى غَيْرِكُمْ".³¹

المطلب الثالث: الرسالة الخاتمة:

فقد كان نبينا محمد ﷺ النبي الخاتم؛³² فِيهِ خُتِمَتِ الرِّسَالَاتُ وَالتُّبُوتَاتُ كَمَا خُتِمَتِ الْكُتُبُ السَّمَاوِيَّةُ بِالْقُرْآنِ، وَخُتِمَتِ الْأَدْيَانُ بِالْإِسْلَامِ كَمَا قَالَ اللَّهُ ﷻ: (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي

27. سورة الصف الآية 6

28. سورة المائدة 48

29 تفسير النسفي 98/4.

30 الكشاف للزمخشري 533/3.

31 تفسير السعدي 754/1.

32 وقد ذكّر العلماء أن من رَحِمَهُ اللهُ لِإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَجَزَائِهِ عَلَى صَبْرِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ وَلَدِهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ ﷺ، فَقَدْ قَالَ اللَّهُ ﷻ: (وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ). قَالَ الرَّازِيُّ رَحِمَهُ اللهُ: "اعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ صَبْرَ أَيُّوبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَانْقِطَاعَهُ إِلَيْهِ أَتْبَعَهُ بِذِكْرِ هَؤُلَاءِ؛ فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَيْضاً مِنَ الصَّابِرِينَ عَلَى الشَّدَائِدِ وَالْحَنِ وَالْعِبَادَةِ، أَمَا إِسْمَاعِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛

وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا)، وقال جل جلاله: (إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)،³³ وقال تعالى: (وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ).³⁴

وقد نصَّ القرآنُ على أنَّ رسولنا مُحَمَّدًا ﷺ خاتَمَ النَّبِيِّينَ، فقال الله ﷻ: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ).³⁶ ووردَ ذلك في السنة النبوية، وقد روى البخاري رحمه الله في كتاب (المناقب) باب (خاتَمَ النَّبِيِّينَ ﷺ) عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: قال النبي ﷺ: {مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَرَجُلٍ بَنَى دَارًا؛ فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَدْخُلُونَهَا وَيَتَعَجَّبُونَ، وَيَقُولُونَ: لَوْلَا مَوْضِعَ اللَّبْنَةِ}.³⁸ ورواه البخاري كذلك عن أبي هريرة ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: {إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلِ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا؛ فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعَجَّبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ: هَلَا وَضِعَتْ هَذِهِ اللَّبْنَةُ! قَالَ: فَأَنَا اللَّبْنَةُ وَأَنَا خَاتَمَ النَّبِيِّينَ}.³⁹

وروى مسلم رحمه الله عن أبي هريرة ﷺ في كتاب (الفضائل) باب (ذَكَرَ كَوْنَهُ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ) عن النبي ﷺ قَالَ: {مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتَانًا فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطِيفُونَ بِهِ يَقُولُونَ: مَا رَأَيْنَا بُيْتَانًا أَحْسَنَ مِنْ هَذَا؛ إِلَّا هَذِهِ اللَّبْنَةُ! فَكُنْتُ أَنَا تِلْكَ اللَّبْنَةُ!}⁴⁰ وفي رواية: {مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ ابْتَنَى بُيُوتًا فَأَحْسَنَهَا وَأَجْمَلَهَا؛ إِلَّا مَوْضِعَ لَبْنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَاوِيَاهَا؛ فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ وَيُعْجِبُهُمُ الْبِنَانُ؛ فَيَقُولُونَ: أَلَا وَضَعْتَ هَهُنَا لَبْنَةً؛ فَيَتَمُّ بُيَاتُكَ، فَقَالَ مُحَمَّدٌ ﷺ: فَكُنْتُ أَنَا

فَلأنه صَبَرَ عَلَى الْإِقْبَادِ لِلدَّبْحِ وَصَبَرَ عَلَى الْمَقَامِ بِبَلَدٍ لَا زَرْعَ فِيهِ وَلَا ضَرْعَ وَلَا بِنَاءَ، وَصَبَرَ فِي بِنَاءِ الْبَيْتِ؛ فَلَا جَرَمَ أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى وَأَخْرَجَ مِنْ صُلْبِهِ خَاتَمَ النَّبِيِّينَ". التفسير الكبير للرازي 182/22.

33 آل عمران 19.

34 آل عمران 85.

35 وقد بينَ علماؤنا رَحْمَهُمُ اللَّهُ أَنَّ لَفْظَ (خَاتَمَ) يُقْرَأُ بِفَتْحِ التَّاءِ كَمَا يَقْرَأُ عَاصِمٌ، وَكَسْرُهَا كَمَا يَقْرَأُ الْجُمْهُورُ، قَالَ أَبُو شَامَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ: "وَأَمَّا (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) فَوَجْهُ الْفَتْحِ فِيهِ أَنَّ الَّذِي يُخْتَمُ بِهِ يُقَالُ بِفَتْحِ التَّاءِ وَكَسْرُهَا؛ فَكَانَهُ ﷺ جَعَلَ كَخَاتَمٍ لَمَّا خُتِمَ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، قَالَ أَبُو عُبَيْدٍ: وَبِالْكَسْرِ نَقْرًا؛ لِأَنَّ التَّأْوِيلَ أَنَّهُ ρ خَتَمَهُمْ فَهُوَ خَاتَمُهُمْ... قَالَ الزَّجَّاجُ: مَنْ كَسَرَ فَمَعْنَاهُ خَتَمَ النَّبِيِّينَ، وَمَنْ فَتَحَ فَمَعْنَاهُ آخِرُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ". إبراز المعاني من حرز الأمان في القراءات السبع لأبي شامة الدمشقي 650/2. وقال القرطبي رحمه الله: "(وَخَاتَمَ) قَرَأَ عَاصِمٌ وَحَدَهُ بِفَتْحِ التَّاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُمْ بِهِ خُتِمُوا؛ فَهُوَ كَالْخَاتَمِ وَالطَّابِعِ لَهُمْ، وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ بِكَسْرِ التَّاءِ بِمَعْنَى أَنَّهُ خَتَمَهُمْ: أَي جَاءَ آخِرَهُمْ، وَقِيلَ: الْخَاتَمُ وَالْخَاتَمَةُ لُغَتَانِ مِثْلُ طَابِعٍ وَطَابِعٍ، وَدَاتِقٌ وَدَاتِقٌ، وَطَابِقٌ مِنَ اللَّحْمِ وَطَابِقٌ". تفسير القرطبي 196/14-197.

36 الأحزاب 40.

37 قال ابن حجر: "قوله (لولا موضع اللبنة) بفتح اللام وكسر الموحدة بعدها نون وبكسر اللام وسكون الموحدة أيضا هي القطعة من الطين تعجن وتجل وتعد للبناء، ويقال لها ما لم تحرق لبنة فإذا أحرقت فهي آجرة". فتح الباري 559/6.

38 صحيح البخاري 1300/3، حديث 3341. قال ابن حجر رحمه الله: "قوله: (موضع اللبنة) بالرفع على أنه مبتدأ وخبره محذوف أي لولا موضع اللبنة يوهم النقص؛ لكان بناء الدار كاملا. ويحتمل أن تكون (لولا) تحضيضية وفعالها محذوف تقديره: لولا أكمل موضع اللبنة، ووقع في رواية همام عند أحمد: (ألا وضعت ههنا لبنة؛ فيتم بيانك)". فتح الباري 559/6.

39 صحيح البخاري 1300/3، حديث 3342، كتاب المناقب، باب خاتم النبيين.

40 صحيح مسلم 1790/4، حديث 2286.

اللِّبْنَةُ).⁴¹ وفي رواية: {مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجلٍ بنى بنيانا فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية من زواياه؛ فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له، ويقولون: هلا وُضِعَت هذه اللبنة! قال: فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين}.⁴² فالبعثة النبوية تتمم للرسالات السابقة، وهي اللبنة المكتملة لصرح النبوة المبارك، قال ابن حجر رحمه الله: "في الحديث صَرَبُ الأمثال؛ للتقريب للأفهام، وفضل النبي ﷺ على سائر النبيين، وأنَّ الله ختم به المرسلين وأكمل به شرائع الدين".⁴³

وقد نصَّ النبي ﷺ على فضل أمة الإسلام على غيرها وإن تأخرَ زمانها، كما روى البخاري رحمه الله: {نحن الآخرون السابقون يوم القيامة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم}.⁴⁴ وفي رواية: {نحن الآخرون السابقون يوم القيامة؛ بيد أن كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم}.⁴⁵ وفي رواية مسلم: {نحن الآخرون السابقون يوم القيامة بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتينا من بعدهم}.⁴⁶ وفي رواية أخرى لمسلم: {نحن الآخرون من أهل الدنيا والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق}.⁴⁷ قال ابن حجر رحمه الله: {نحن الآخرون ونحن السابقون}: أي الآخرون زماناً الأولون منزلةً. والمراد أن هذه الأمة وإن تأخر وجودها في الدنيا عن الأمم الماضية فهي سابقة لهم في الآخرة بأهم أول من يُحشَر، وأول من يُحاسب، وأول من يُقضى بينهم، وأول من يدخل الجنة، وفي حديث حذيفة عند مسلم: {نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة المقضي لهم قبل الخلائق}، وقيل: المراد بالسبق هنا إحراز فضيلة اليوم السابق بالفضل وهو يوم الجمعة... وهو من باب تأكيد المدح بما يشبه الذم والمعنى: نحن السابقون للفضل غير أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا. ووجه التأكيد فيه ما أدمج فيه من معنى النسخ؛ لأنَّ الناسخ هو السابق في الفضل وإن كان متأخراً في الوجود".⁴⁸

المطلب الرابع: الإيمان بالكتب السماوية:

إنَّ إنزال الكتب من عند الله عقيدة يجب الإيمان بها، كما قال ﷺ (آمنَ الرسولُ بما أنزلَ إليه من ربه والمؤمنون كلٌّ آمنَ بالله وملائكته وكتبه ورسله)،⁴⁹ وقال ﷺ: {الإيمان: أن تؤمنَ بالله وملائكته وكتبه

41 صحيح مسلم 1790/4، حديث 2286. كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين.

42 صحيح مسلم 1791/4، حديث 2286. كتاب الفضائل، باب ذكر كونه خاتم النبيين.

43 فتح الباري 559/6.

44 صحيح البخاري 305/1، حديث 856. كتاب الجمعة، باب هل على من لم يشهد الجمعة غسل من النساء؟

45 صحيح البخاري 1285/3، حديث 3298. كتاب الأنبياء، باب (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم).

46 صحيح مسلم 586/2، حديث 855. كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

47 صحيح مسلم 586/2، حديث 856. كتاب الجمعة، باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة.

48 فتح الباري 355-354/2.

49. سورة البقرة الآية 285

ورسله واليوم الآخر وأن تؤمن بالقدر خيره وشره⁵⁰. فنحن نؤمنُ بتنزيلِ الكُتُبِ من عند الله ﷺ على الرُّسُلِ عليهم الصلاة والسلام إيماناً إجمالياً؛ كما يفيدُهُ توجيهُ القرآن: (وقُلْ آمَنْتُ بما أنزلَ اللهُ من كتابٍ)،⁵¹ ونؤمنُ إيماناً تفصيلاً بما نصَّ عليه القرآن: فنؤمنُ بِصُحُفِ إبراهيمَ وموسى وزبورِ داود عليهم السلام؛ لقوله ﷺ (إنَّ هذا لفي الصُّحُفِ الأولى صحفِ إبراهيمَ وموسى)،⁵² وقوله ﷺ: (وآتينا داودَ زبوراً)⁵³ ونؤمنُ بتوراةِ موسى وإنجيلِ عيسى عليهما الصلاة والسلام؛ لقوله تعالى: (إنا أنزلنا التوراةَ فيها هُدىً ونورٌ يحكمُ بها النبيونَ الذين أسلموا للذين هادوا والربانيونَ والأحبارُ بما استُخفِظُوا عليه من كتابِ الله وكانوا عليه شهداءً)⁵⁴ وقوله ﷺ (وآتيناها الإنجيلَ فيه هُدىً ونورٌ).⁵⁵

ولكننا نَجزمُ بأنَّه ليس في الكُتُبِ التي بين أيدي الناسِ اليومَ كتابٌ سالمٌ من التحريفِ غيرَ القرآنِ الذي تكفَّلَ اللهُ بِحِفْظِهِ فقال ﷺ (إنا نحنُ نزلنا الذِّكْرَ وإنا له لحافظون).⁵⁶ وأمَّا ما عند أهلِ الكتابِ من التوراةِ والإنجيلِ فقد ذكرَ اللهُ سبحانه أنهم (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعِهِ ونسُوا حظاً مما ذُكِّروا به ولا تزالُ تَطَّلِعُ على خائنةٍ منهم إلا قليلاً منهم)،⁵⁷ وقال ﷺ (فويلٌ للذين يكتبونَ الكتابَ بأيديهم ثم يقولون: هذا من عندِ اللهِ ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبونَ).⁵⁸ وأبان القرآنُ كذبَهُم على ربِّهم وافتراءَهُم على أنبيائِهِم واشتراءَهُم بآياتِ اللهِ ثمناً قليلاً (يقولون هو من عندِ اللهِ وما هو من عندِ اللهِ ويقولون على اللهِ الكذبَ وهم يعلمون)⁵⁹ وأخبرنا أنَّهم ضيَّعُوا أمانةَ هذه الكُتُبِ (مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التوراةَ ثم لم يحمِلوها كمَثَلِ الحمارِ يحمل أسفاراً بئسَ مَثَلُ القومِ الذين كذبوا بآياتِ اللهِ والله لا يهدي القومَ الظالمينَ).⁶⁰

المطلب الخامس: تحريف أهل الكتاب:

50 متفق عليه.

51 سورة الشورى الآية 15.

52 سورة الأعلى الآية 18-19.

53 سورة النساء الآية 163.

54 سورة المائدة الآية 44.

55 سورة المائدة الآية 46.

56 سورة الحجر الآية 9.

57 سورة المائدة الآية 13.

58 سورة البقرة الآية 79.

59 سورة آل عمران الآية 78.

60 سورة الجمعة الآية 5.

فقد قرَّرَ القرآنُ الكريمُ جِنَايَةَ التحريفِ التي اقترَفَها أحرارُ السُّوءِ من اليهودِ والنصارى، فقال ﷺ (والله أعلمُ بأعدائكم وكفى بالله ولياً وكفى بالله نصيراً من الذين هادُوا يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه).⁶¹ وقال ﷺ (فيما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسيةً يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه)،⁶² وقال تعالى: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ من بعد مواضعه يقولون إن أوتيتهم هذا فخذوه وإن لم تؤتوه فاحذروا).⁶³ وقال ﷺ (أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريقٌ منهم يسمعون كلامَ الله ثم يُحَرِّفونه من بعد ما عَقَلوه وهم يعلمون).⁶⁴ وقال تعالى: (يا أهلَ الكتابِ قد جاءكم رسولنا يبينُ لكم كثيراً مما كنتم تُخْفون من الكتابِ ويعفُو عن كثيرٍ قد جاءكم من الله نُورٌ وكتابٌ مُبينٌ يهدي به الله من اتبع رضوانه سُبُلَ السلامِ ويُخْرِجُهُم من الظُّلُماتِ إلى النُّورِ بإذنه ويهديهم إلى صِراطٍ مُستقيم).⁶⁵

قال الشنقيطي رحمه الله: "إنَّ الله جلَّ وعلا صرَّحَ في هذا القرآنِ العظيم الذي لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلاً من حكيمٍ حميدٍ بأنهم بدلُوا وحرَّفُوا وغيرُوا في كتبهم كقوله: (يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ عن مواضعه)، وقوله: (تجعلونه قراطيسَ تُبدونها وتُخفون كثيراً)، وقوله: (فويلٌ للذين يكتبون الكتابَ بأيديهم ثم يقولون هذا من عندِ الله ليشتروا به ثمناً قليلاً فويلٌ لهم مما كتبتْ أيديهم وويلٌ لهم مما يكسبون)، وقوله تعالى: (وإنَّ منهم لفريقاً يلؤونُ اليمينَ بالكتابِ لِتُحْسِبُوهُ من الكتابِ وما هو من الكتابِ ويقولون هو من عندِ الله وما هو من عندِ الله ويقولون على الله الكذبَ وهم يعلمون) إلى غير ذلك من الآياتِ بخلافِ هذا القرآنِ العظيم؛ فقد تولى الله جلَّ وعلا حفظَه بنفسه... كما قال تعالى: (إنَّا نحن نزلنا الذكرَ وإنَّا له لحافظون)، وقال: (لا تُحَرِّكْ به لسانك لتعجلَ به إن علينا جمعه وقرءانه)، وقال: (لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه)، وقال في النبيِّ ﷺ (وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحيٌ يُوحى).⁶⁶

وقد بيَّن لنا القرآنُ الكريمُ بعضَ صُورِ الانحرافِ والتحريفِ التي أحدثها أحرارُ اليهودِ ورهبانُ النصارى فقال الله ﷻ (اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهَبَانَهُمْ أَرْبَاباً مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ).⁶⁷ وقال الله ﷻ (فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ).⁶⁸

61 النساء 45-46.

62 المائدة 13.

63 المائدة 41.

64 البقرة 75.

65 سورة المائدة الآية 15-16.

66 أضواء البيان للشنقيطي 345/3-346.

67 التوبة 31.

68 البقرة 79.

والحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه.